المبحث الحادي عشر

الكذب

إذا نشأ الطفل في بيئة تقدر الحق وتلتزم الصدق، لايتخلص فيها الآباء بانتحال المعاذير، وفي أسرة تطبق الأمانة والصدق بقدر دعوتها إليها، يكون من الطبيعي في مثل هذه الظروف، أن يلتزم الطفل حدود الصدق المرعية. أما إذا سمع الطفل أحد أبويه يتشكك في صدق الآخر، أو إذا شاهد أمه تتخلص من واجباتها بإدعاء المرض، فليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن الطفل في مثل هذه الظروف سوف يعرف قيمة الصدق. وعلى ذلك فإن الكذب صفة أو سلوك

يتعلمه الطفل كما يتعلم الصدق، وليس صفة فطرية، أو سلوكًا موروثًا، والكذب عادة عرض ظاهري لدوافع وقوى نفسية، تجيش في نفس الفرد، سواء كان طفلاً أم بالغًا.

❖ **أنواع الكذب:**

١- الكذب الخيالي أو التلفيقي:

لا ينبغي أن يشفق الآباء من عجز أبنائهم عن التزام الدقة والصدق في سرد الوقائع؛ وذلك لأن الطفل يمر بفترة طويلة، قبل أن يستطيع التفرقة بين الحقيقة والخيال.

ففي مرحلة، يلاحظ فيها قوة خيال الطفل، حيث يطغى خياله على الحقيقة ويرى في القصص الخيالية واقعًا، ويكون خياله خصبًا فياضًا يملأ عن طريقه فجوات حديثه، وننصح بالاهتمام بالقصص التربوية وعدم المبالغة في القصص الخيالية - رغم أهميتها في إثراء خيال الطفل وخصوبة تفكيره - حتى لا يؤدي ذلك إلى تشويه الحقائق المحيطة به.

وكثيرًا ما يلجأ الطفل في سبيل المفاخرة بقيمته الذاتية إلى المبالغة في بعض

المواقف التي قام بدور فيها ، وكثيرًا ما يكون للأقاصيص التي ينسجها أساس واه من الواقع، بيد أنها كثيرًا ما تكون أيضًا أمورًا لفقها الطفل؛ حتى لا يتجاهل الناس أمره تجاهلاً مطلقا. ويغلب أن يصدر هذا النوع من التلفيقات من البنت أو الولد الذي تضيق به الحيلة ، ولكنه رغم ذلك يتوق إلى تحقيق شيء يستحق الذكر والتنويه ، وهكذا ينتقل أولئك الأطفال على أجنحة الخيال؛ فمن حياة مفعمة بالخيبة إلى حياة مليئة بالنشوة والنجاح؛ فليست مثل الأخيلة في الواقع كذبًا ، بل هي أوهام أو رغبات لم تتحقق.

ويقوم علاج عادة التلفيق هذه على توجيه انتباه الطفل إلى الأمانة فيما يقومون به؛ فمثل أولئك الأطفال في حاجة إلى جانب كبير من التشجيع والتوجيه ، فينبغي أن توجه جهودهم نحو القيام بالأمور التي تقع في نطاق قدرتهم؛ حتى تكلل جهودهم بالنجاح.

أما التلفيقات والأوهام التي ليس لها أساس من الواقع، والتي لا تؤدي إلى غاية نافعة - أي تلك التي تدعى بأحلام اليقظة DAY DREAMS ؛ فليس من اللازم أو من المرغوب فيه دفع الطفل إلى التسليم بأن أحلامه ليس لها ظل من الحقيقة؛ فهذه الأحلام ليس فيها ما يهدد سلامة الطفل العقلية إلا إذا أصبحت غاية في حد ذاتها ، وأدت بالطفل بعيدًا عن حقائق الحياة واستغرقت منه كوامن نفسه. ومن ثم لا ينبغي أن نضيق ذرعًا بتوهمات الأطفال، فكثيرًا ما يكون في حياة الصغير معنى خاص، فإذا لم يتحمل الآباء الإنصات إلى ما يبدو لهم أمرًا تافهًا صغيرًا يصدر عن الطفل، فإن الفرصة لن تسنح لهم بالوقوف على ما يعرض لحياته من مشكلات جدية خطيرة ستقبلاً. ومهمة الآباء تتطلب منهم أن يقدموا العون لأبنائهم؛ كي يتعرفوا الحقيقة ويدركوا قيمتها.

٢- الكذب الالتباسي:

وهذا النوع من الكذب لا يدل على انحراف سلوكي أو مرضي لدى الطفل، بل يحدث نتيجة لتداخل الخيال مع الواقع لديه؛ بحيث لا يستطيع أن يفرق بينهما، فقد يستمع إلى قصة خيالية أو واقعية تثير مشاعره، وبعد أيام يتقمص أحداث القصة في نفسه أو في غيره. والطفل في حالة الكذب الالتباسي يلجأ إلى الكذب دون قصد؛ فذاكرته تعجز من أن تعي حادثة معينة بتفاصيلها، فيضطر دون أن يدري إلى أن يحرف بعض الأحداث، ويضيف أخرى من نسج خياله حتى تبدو مستساغة لعقله الصغير ومنطقه المحدود.

٣- الكذب الادِّعائي:

هذا النوع من الكذب يلجأ إليه بعض الأطفال، الذين يعانون الشعور بالنقص أو الدونية "INFERIORITY FEELING" لتغطيته بالمبالغة؛ بهدف الحصول على مركز مرموق وسط الجماعة، فالطفل الذي لا يمتلك لعبًا كغيره من الأطفال يدعي أنه يمتلك منها الكثير، وقد يصل به الأمر إلى أن يتخيل شكلها وحجمها وطريقة تشغيلها للتباهي أمام أقرانه.

وهذا النوع من الكذب شائع بين أغلب الأطفال، ولا ضرر منه فهو لا يؤذي أحدًا، ولكن على الآباء أن يحاولوا علاج مثل هذه الحالة بشيء من توضيح الحقائق، ومحاولة إشباع الحاجات النفسية للأطفال، مع ضرورة توفير احتياجاتهم من اللعب والأدوات.

وقد يلجأ الطفل إلى الكذب الإدعائي لاستدرار العطف عن طريق التمارض، وهذا يحدث عند الأطفال، الذين لم ينالوا درجة مناسبة من الحب والرعاية من الوالدين في طفولتهم.

وقد يلجا الطفل إلى هذا الكذب فيتهمون الغير باضطهادهم أو التنكيل بهم، فعندما يعود الطفل من مدرسته يدعي في حضور والديه أن المعلم قد أوسعه ضربًا، أو منع عنه مكافأة كان يستحقها، ويعود السبب في ذلك إلى أن الطفل يحاول استدرار عطف والديه، أو قد يحاول أن يجد لنفسه مبررًا لفشله أو عجزه الدراسي؛ حتى يمنع لوم وتقريع الأسرة له. وهذا النوع من الكذب يجب الاسراع إلى علاجه؛ لأن أي إهمال أو تقاعس سيجعل من الطفل مبالغًا ومختلقًا للمبررات الواهية والأقاويل الزائفة؛ مما يؤثر بالسلب على صحته النفسية ومكانته الاجتماعية.

٤- الكذب بغرض الاستحواز:

يعامل بعض الأطفال معاملة قاسية يشوبها النبذ والإهمال؛ فتنعكس هذه المعاملة عليهم؛ فالأطفال الذين يعانون من رقابة الوالدين الشديدة ومحاولة التحقق من كل عبارة يذكرونها، وقد أخذوا في التضييق عليهم، هؤلاء يلجأون إلى نوع آخر من الكذب؛ بغرض الاستحواز على الأشياء وعلى العواطف أيضًا. إن الطفل عندما يفقد الثقة في بيئته، يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء، وهو يكذب في سبيل تحقيق ذلك.

وإننا نوجه إلى الآباء نصيحة خالصة بأن يوفروا لأبنائهم جوًا من الثقة والاطمئنان، وأن تكون البيئة الأسرية التي يعيشون فيها مصدر فخرهم وثقتهم، والابتعاد عن النبذ والإهمال والرقابة الشديدة الصارمة، وكذلك نحذر من التدخل المباشر في حياة الأطفال في كل أمورهم (الكبير منها والصغير) إلاَّ بالقدر الضروري والمعقول.

٥- الكذب الانتقامي:

قد يكذب الطفل لإسقاط اللوم على أطفال الآخرين، والكذب الانتقامي يرتبط بضعف "الأنا العليا" SUPER EGO، التي تقوم بوظيفة الرقابة على السلوك.

ويعد هذا النوع من الكذب من أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل؛ لأنه كذب ينم عن كراهية وحقد. وفي هذا الكذب يفكر الطفل كثيرًا، قبل أن يقدم على هذا الخطوة، بل يتدبر مسبقًا حبكته الانتقامية هذه بقصد إلحاق الضرر بمن يكرهه، وهذا السلوك يكون مصحوبًا - في أغلب الأحوال - بالتوتر والقهر والإحساس بالألم. وهذا النوع من الكذب يكون أكثر انتشارًا بين أطفال المدارس الابتدائية نتيجة للغيرة أو الحقد؛ فيحدث أن يشكو الطفل قرينه لأنه قد أتلف كتابه، فيهم المعلم بعقاب الطفل المشكو منه، فيجد الطفل الشاكي في ذلك راحة وسعادة، وهذا الكذب يجد له رواجًا ومتنفسًا، إذا وجد الطفل من المعلم استجابة لشكايته وميلاً من جانب المعلم إلى العقاب دون التحقق.

ومن هنا يتحتم على الآباء والمعلمين أن يقابلوا مثل هذه الشكاوى والاتهامات بالحذر الشديد والتحقق الدقيق، وكذلك يجب عليهم أن يهتموا بهؤلاء الصغار الذين يندفعون إلى اقتراف هذا الكذب الانتقامء بأن يعتنوا بهم ويقوموهم؛ حتى يتخلصوا منه؛ لأن الاعتياد على مثل هذا النوع من الكذب يؤدي إلى اعتلال صحتهم النفسية.

٦- الكذب الدفاعي أو الوقائي:

إن العقاب إذا كان مطردًا قاسيًا لا يتناسب، وما يتطلبه الموقف أدى إلى اتخاذ الكذب وسيلة للوقاية، ونؤكد أن العقاب نفسه كثيرًا ما لا يتحقق الغرض من توقيعه؛ فإن كثيرًا من الأطفال يندفعون إلى استخدام الكذب كسلاح غريزي، وقاية لأنفسهم من أساليب العقاب، خاصة إذا كان القصاص جائرا لاعدل فيه.

كما يلجأ بعض الأطفال في الأسر التي تتناقض فيها وسائل التربية - كأن يكون الأبُ شديد القسوة وتكون الأم شديدة الحنو - في هذه الحالة وما يشابهها نجد أن الطفل يكذب؛ لكي يفلت من عقاب ينتظره، فيلصق الاتهام ببرىء قد يكون أخوه أو صديقه؛ حتى ينال العقاب عوضًا عنه.

والكذب الدفاعي أو الوقائي هو أكثر أنواع الكذب شيوعًا بين الأطفال، وقد يدمن الأطفال هذا النوع من الكذب وبالأخص من تعتريهم نوبات القلق والتوتر. ونؤكد أنه كلما ازداد الخوف من العقاب، ازداد نزوع الأطفالإلى الكذب الدفاعي! لذلك نحذر الآباء ورجال التعليم، الذين يلجأون إلى عقاب الأطفال بالوسائل المؤلمة (كالصفع أو الركل أو الضرب) بأن يتجنبوا ذلك ويكفوا عن تلك الوسائل؛ حتى لا يدفعوا هؤلاء الصغار إلى هذا النوع من الكذب.

واذا كان الكذب الانتقامي يرتبط بالتوتر والألم.. فإن الكذب الدفاعي يرتبط غالبًا بالخوف والقلق، ويصاحبه أيضًا عادات الغش والتمويه والخداع والتخطيط المسبق له والتدبير المحكم؛ حتى يبدو هذا الكذب مقنعًا بلا افتعال أو ارتجال.

هذا.. وقد أجمعت الدراسات على أن حوالي ٧٠٪ منأنواع سلوك الأطفال. الذي يتصف بالكذب، يرجع إلى الخوف من العقاب، وعدم استحسان البالغين وقبولهم لسلوكهم، وأن ٢٠٪ منها ترجع إلى أغراض الغش والخداع والتمويه، وأن ١٠٪ منها ترجع إلى ميل الأطفال لأحلام اليقظة والخيال والالتباس.

٧- الكذب الأناني:

الكذب الأناني نوع من أنواع الكذب، يلجأ إليه الطفل ليحقق منفعة لنفسه، أو ليمنع نفعًا لأخيه أو صديقه، وهذا النوع من الكذب يرتبط بدرجة النمو الخلقي لدى الطفل، ونوع النموذج أو القدوة التي كانت متاحه أمامه ممثلة في الوالدين. ويكذب الطفل؛ لأنه لم يقوم منذ البداية على أن يحب للآخرين ما يحب لنفسه، وأن النفع الذي يعود عليه إنما يرتبط أشد الارتباط بنفع الآخرين أيضًا، وأن الحياة التي نعيشها تعتمد على محورين مهمين، هما: الأخذ والعطاء.

أما إذا كذب الطفل ليمنع نفعًا للآخرين، فهو الكذب الذي يهدد أمنه وصحته النفسية؛ لأن الأنانية ترتبط بالكراهية وبالعداء تجاه الآخرين، فالطفل يكذب ليسقط عن أخيه أو صديقه صفة الامتياز أو التفوق، ثم يدعيها لنفسه طمعًا في تقدير أو ثناء أو إثابه، وهو ما يجب أن ينتبه إليه الآباء والمعلمون لتوضيح مثل هذه الأمور للأطفال؛ حتى يقلعوا عن هذا الكذب بلا عنف أو إكراه، مع الاهتمام بتوفير الجو الأسري الصالح.

٨- الكذب لمقاومة القسوة والسلطة:

كثيرًا ما يكذب الأطفال لأنهم يعانون من قسوة الوالدين أو المدرسة، والكذب سلاح يستخدمه الأطفال لمجرد الإحساس الممتع؛ نتيجة التغلب على مقاومة السلطة الصارمة، إنه إحساس بالانتصار رغم كل القيود؛ فالطفل بدلاً من أن يذهب إلى المدرسة يسير في الطرقات العامة، ويرتاد الحدائق

والمتنزهات؛ وعند اقتراب نهاية اليوم الدراسي يهم عائدًا إلى المنزل مدعيًا أنه قضى في المدرسة يومًا شاقًا ومرهقًا!!

والطفل في مثل هذه الحالات من الكذب يبدو رقيقا كالملاك، يستسلم ظاهريًا لأوامر ونواهي السلطة الوالدية؛ فهو يحاول أن ينقذ أمام أعينهم كل ما يطلبانه ويأمرانه، ولكن حينما يتحرر من هذه السلطة، يفعل ما يحلو له محاولاً استنشاق عبير الحرية المسلوب؛ لذلك لزم التنويه بضرورة التخفيف - قدر المستطاع - من حدة القيود والسلطة الأبوية والمدرسية الصارمة، وأن يطلع الطفل مسبقًا على قواعد ومعايير السلوك المرجوة بلا قسر أو عنف، وإذا طلب منه أداء سلوك معين أو تنفيذ واجب محدد لا يكون بالأوامر والنواهي الصارمة، بل بالإقناع بعد توضيح الأمور بصدق دون استخفاف؛ فينفذ الطفل كل ما يطلب منه، لا عن خوف ورهبة بل عن اقتناع وحب.

كيف نقي أطفالنا من الكذب؟

❖ يجب توضيح الأسس التي تقوم عليها العلاقات بين الأفراد بحيث يدرك الطفل الحدود الصحيحة للحقوق والواجبات حتى لا يلجأ إلى الكذب الذي يحاول فيه بحسن نية - أن يساعد الآخرين.

❖ التسامح مع بعض الأطفال في بعض المواقف، مع شرح أخطائهم وإعطائهم الفرصة؛ لتصحيح ما يقعون فيه من أخطاء غير مرغوب فيها.

❖ ألا يسمح للطفل بأن يفلت بكذبه، بل يجب أن نعلمه أننا أدركنا سلوكه، ونعطيه الفرصة لتجنب الكذب مرة أخرى؛ حتى لا يتدعم سلوك الكذب لديه كوسيلة لتحقيق رغباته، أو للتخلص من المآزق التي قد يقع فيها.

❖ عدم اللجوء إلى العقاب الشديد؛ لأن الخوف من العقاب من أهم الدوافع التي تجعل الطفل يلجأ إلى الكذب، وأن يكون العقاب - إذا حدث - عقابًا معتدلاً

يتناسب مع نوع الخطأ، وأن يعرف الطفل الأسباب التي أدت إلى اتخاذ القرار بعقابه.

❖ لابد من استخدام الأسلوب العلمي في حل المشكلة، وذلك بالبحث أولاً عن أسبابها ودوافعها، ووضع العلاج المناسب لكل حالة على حدة؛ فعلاج الكذب الدفاعي يختلف بطبيعة الحال عن علاج الكذب الانتقامي، مع مراعاة أن كل طفي حالة قائمة بذاتها؛ فأسلوب العلاج الذي قد ينجح مع طفل قد لا ينجح مع طفل آخر.

❖ لابد أن نعي ونتيقن أنه لا فائدة ترجى من محاولة علاج الكذب، بالعقاب أو الزجر أو التهديد؛ لأن هذه الأساليب لن تردع الطفل عن الإتيان بالكذب، بل قد تتسبب في ظهور أعراض سلبية أخرى؛ فالعقاب يزيد من تعقيد المشكلة بدلاً من انفراجها وإمكانية حلها.

❖ يجب أن نساعد الطفل على أن يعيش في بيئة، توفر له استجابات طيبة بمعنى أن تشبع حاجاته النفسية الملحة والضرورية من حب وحنان وأمن وتقبل؛ لأن ذلك يساعده على الصدق والصراحة والوضوح.

❖ الطفل يقلد من حوله ويتقمص سلوك الكبار منهم، ولذلك فعلى الآباء والمعلمين أن يدركوا أنهم القدوة والمثل الأعلى والنموذج؛ فالآباء الذين يدفعون أبناءهم إلى الكذب إنما يدفعونهم إلى تقليد ومحاكاة سلوكهم.

❖ يجب أن يشعر الطفل بأنه يعيش في بيئة مرنة ومتسامحة، فنعوده دائمًا على المحبة والتسامح، وأن نحول دون تنمية الاتجاهات السلوكية، التي تدعم لدية غرائز الكراهية والحقد والانتقام.

❖ تجنيب الطفل المواقف التي تشجعه على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه، فاذا اعترف الطفل بأنه كذب لا نعاقبه البتة؛ لأن العقاب يشجعه على الكذب ولا يشعره بالأمن والطمأنينة نحونا، بل يجب أن نبصره بأهمية الصدق ومغبة

الكذب.

❖ يجب على الآباء أن يكونوا أوفياء إذا قطعوا عهدًا أو وعدًا مع أطفالهم؛ لأن الأطفال قد يصابون بصدمة قوية، إذا خالف الآباء وعودهم، ومن ثم فسوف يتحلل الأطفال من الالتزام بالصدق.

obeikandl.com